

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين؛ أما بعد:

قول الله تبارك وتعالى في سورة النبأ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ (38)؛ من يطالع كتب التفسير بالمأثور والمنقول عن الصحابة رضي الله عنهم وعن تابعيهم

بإحسان في معنى هذه الآية الكريمة يقف جليلاً على **مكانة التوحيد في قلوب الصحابة رضي الله عنهم**، وعلى عظيم عنايتهم به، واهتمامهم بمقامه وشأنه، وأنه أعظم المقاصد وأجلها على الإطلاق؛

فقد نُقِلَ عن غير واحد من الصحابة والتابعين في معنى قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾: أي قال **«لا إله إلا الله»**، وقالوا: هي **منتهى الصواب**؛ أي أن **«لا إله إلا الله»** هي الأساس الذي يُبنى عليه دين الله تبارك وتعالى، ولا صواب إلا ما بُني على **«لا إله إلا الله»**،

وكل عمل يُبنى على غير هذا الأساس فهو تباب وليس صواب؛ لأنه ليس قائماً على أساسه وعماده الذي لا قيام له إلا عليه، ف**«لا إله إلا الله»** عليها قيام دين الله جلّ وعلا، وهي في الدين كالأصول في الأشجار والأسس في البنايات **«أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ»** [إبراهيم: 24]؛ فكلمة التوحيد لهذا الدين بمثابة الأصل الذي يُبنى عليه دين الله سبحانه وتعالى.

وقول الله جلّ وعلا: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ فيه أن الشفعاء ومن جملتهم الملائكة -ملائكة الرحمن- لا يتكلمون عند الله سبحانه وتعالى بالشفاعة إلا بإذنه، والملائكة الذين يشفعون أكثر كما يدل عليه قول الله عز وجل: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم: 26]،

وما جاء في هذه الآية مُطابِق تماماً لما جاء في آية النبأ؛ ذكر شرط قبول الشفاعة وأنها لا تقبل إلا بشرطين، قال: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ إذن الله للشافع، ورضا الله عن المشفوع له، فلا تكون شفاعة عند الله إلا بهذين:

1- **بإذن من الله سبحانه وتعالى للشافع.**

2- **ورضاه منه جل وعلا عن المشفوع له.**

ومثل هذا تماماً قوله في سورة النبأ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ إذن الله للشافع **«وَقَالَ صَوَابًا»** رضا عن المشفوع له بقوله الصواب.

وأساس الصواب التوحيد، فلا صواب إلا به، ولا قيام للدين إلا عليه؛ فهو أساس الدين الذي يُبنى عليه.

مثل هذا أيضاً تفسير السلف لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ أَتَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ [مريم: 87] قال غير واحد: العهد **«لا إله إلا الله»**.

وتفسير العهد والصواب **«لا إله إلا الله»** من أحسن التفسير وأجوده وأدله على مكانة **«لا إله إلا الله»** ومكانة التوحيد لدى الصحابة رضي الله عنهم وأنها أساس هذا الدين الذي لا قيام للدين إلا عليه؛ فمن لم يأت يوم القيامة بالتوحيد برئ من العهد ولم يكن من أهل الصواب فلا ينال شفاعة مهما كان تعبده،

ولهذا أيضاً مر معنا قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الانفطار: 19] ثلاث نكرات في سياق النفي وكلها تفيد العموم؛ لأن النكرة إذا جاءت في سياق الشرط أو سياق النفي أو سياق تفيد العموم، **«لا تملك نفس لنفس»** أي نفس مهما عظم شأنها وعلت مكانتها، **«لنفس»** مهما أيضاً أحبت ذلك لها ورغبته لها، **«لنفس شيئاً»** ولو سيراً ولو قليلاً، **«والأمر يومئذ لله»** فالأمر بيده فلا شفاعة عند الله سبحانه وتعالى إلا بإذنه منه للشافع، ورضاه منه تبارك وتعالى عن المشفوع له.

يوضح هذا الفهم الآية -فهم الصحابة رضي الله عنهم للآية- حديث أبي هريرة رضي الله عنه في صحيح البخاري أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: مَنْ أَسْعَدَ النَّاسَ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قال: **«مَنْ قَالَ لا إله إلا الله خَالِصاً مِنْ قَلْبِهِ»**؛